

مدينة زويلة في فضاء السّاحل والصحراء خلال العصر الوسيط

دراسة عن تطورها التاريخي وعلاقاتها بالمدن المجاورة

✳ معمر الهادي القرقوتي

الملخص:

تحتل مدينة زويلة موضعا متميزاً في إقليم فزان من الجزء الجنوبي في ليبيا المتصل ببلدان السودان بملتقى طرق القوافل التجارية، الأمر الذي جعلها تؤدي دور الوسيط التجاري بين أقاليم تختلف في الطبيعة والحاصلات، فصارت إحدى المناطق المهمة في التاريخ، وقد تجلت مكانتها بعد الفتح الإسلامي باعتبارها أول مركز للمسلمين في بلاد المغرب، حيث كان مقام الولاة بها وببرقة إلى إن أسس عقبة بن نافع مدينة القيروان سنة (50-55هـ).

لقد تمثلت أهمية زويلة في كونها أقرب مدن إقليم فزان لبلاد السودان، فهي بوابة بلاد الصحراء.

كان هذا الموقع فرصة سانحة للتواصل مع شعوب الساحل وشعوب الصحراء . وفي هذه المشاركة نحاول تسليط الضوء على التطور التاريخي للمدينة بداية من الفتح الإسلامي وحتى سقوط إمارة بني الخطّاب سنة 568هـ، من خلال علاقاتها مع مدن الساحل والصحراء بأفريقيا .

ومن المؤكد إن هذه العلاقات تسجل خلال هذه الفترة الاتصالات السياسية والمبادلات التجارية والعلاقات الثقافية، كما تشمل في بعض الأحيان مشاركة أهل المدينة في بعض الثورات التي وقعت بأفريقية.

ونظراً إلى هذه الأهمية فإن التعرف إلى نوع تلك العلاقات تستوجب إن نلمح إلى موقعها الجغرافي وطرق النقل التجاري، وكذلك التطرق إلى نوع هذه العلاقات، وهل كان بينها وبين جاراتها صراع وتنافس أم تعاون وتكامل؟

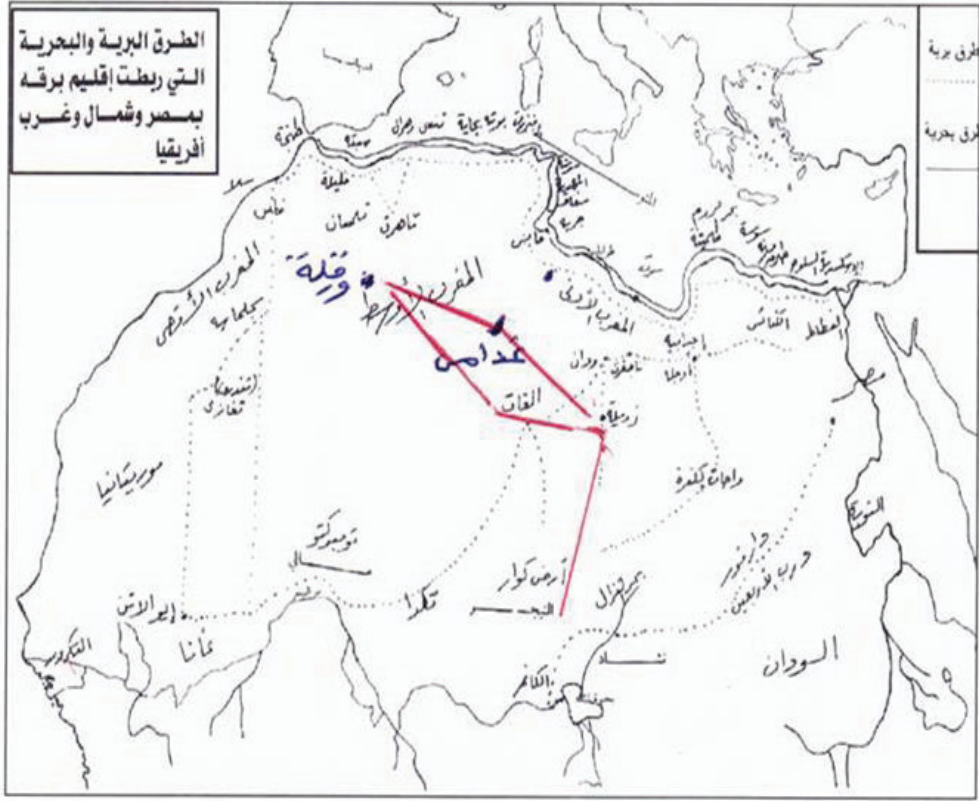
* عضو هيئة تدريس كلية التربية جامعة طرابلس ليبيا

الموقع:

تقع مدينة زويلة فلكياً علي خط طول ثلاث وأربعين درجة، بينما تقع على دائرة عرض سبع وعشرون درجة (المغربي 1970م) وأربعين دقيقة شمال خط الاستواء، وبذلك تقع ضمن الإقليم الصحراوي، وتنتمي إلى مناخه وهو إقليم قاري شديد الحرارة صيفاً خاصة أثناء النهار، وشديد البرودة شتاءً خاصة أثناء الليل، نادر المطر، أما من حيث الموقع الجغرافي، تقع المدينة في الطرف الجنوبي من ليبيا، ضمن إقليم فزان، وتمثل أحد أبرز واحاته، ولا تبعد عن كوار في الجنوب سوى خمس عشرة مرحلة (البيعتوبي 1988م)، وبذلك تعد بوابة بلاد السودان ولهذا الموقع أهمية كبيرة جغرافية وتاريخية، حيث لعبت المدينة دوراً كبيراً في العالم القديم سواء في عملية التبادل التجاري بين أواسط أفريقيا (عريف 2010م) ومدن حوض البحر المتوسط، أو في إنتشار الإسلام والثقافة الإسلامية في أفريقيا، كما تشير أغلب المصادر الجغرافية: فالإدريسي في القرن السادس الهجري، يقول: إنها في الصحراء «ومنها دخل إلى جمل من بلاد السودان» (الإدريسي 1989م) وأكد على ذلك ياقوت الحموي في بداية القرن السابع الذي بقوله «زويلة في وسط الصحراء وهي أول حدود بلاد السودان». (الحموي 1995)

أما مع مدن الساحل فهي لا تبعد عن سرت سوى مسيرة اثني عشر يوماً عن طريق الأقصر وإلى خمسة أيام، ومنها إلى زلهي (زلة) ثمانية أيام في الصحراء، ثم أربعة أيام مدينة أوجلة ثم أربعة أيام إلى تاجرقت «(البكري 1992م) و «تأخذ من القيروان إلى زويلة شهراً» (المقدسي 1985م) أما خصائص الموضع أو البقعة التي نشأة فوقها المدينة، فنلاحظ إنه يتمتع بحدود طبيعية جيدة لم تكن حاجزا لتكوين علاقات مع المدن المجاورة، أي البقعة التي نشأت فيها المدينة أو بيئتها.

أما خصائص الموقع فنلاحظ إنه فضلا عن وقوعها في وسط الصحراء متوسطة العالم القديم، فهو يتمتع بحدود طبيعية جيدة، لم تشكل عائقاً في التواصل بينها وبين أفريقيا ومدن حوض البحر المتوسط، ويعد موضع زويلة من أهم الواحات الزراعية في الصحراء الكبرى حيث تميزت بإستواء سطحها وخصوبة أرضها، ووفرة مياهها، وكثرة بساتين النخيل بها، وتعد الثمر غذاءً متكاملًا صالحاً للاستهلاك في كل الأوقات، وأجمع عن المدينة على إن شرب» أهلها من أبار عذبة ولها تمل كثير وتمرها حسن» (الإدريسي 1989م)



خريطة توضح موقع مدينة زويلة وبعض المدن التي تعاملت معها

نشأة المدينة وتاريخها العمراني:

لقد مرت زويلة خلال نشأتها الطويلة بعدة أدوار تاريخية تعود إلى العصور القديمة، فقد ورد اسم المدينة في سفر التكوين من (التوراة) للدلالة على مجمل دواخل القارة الأفريقية، التي اشتهرت بالذهب والبلور (ابن حزم 1985)، وإن كانت زويلة قد أصبحت مغمورة ولا تكاد تذكر في التاريخ حيث نجد هيرودتس لا يشير إلى هذه المدينة في القرن الخامس قبل الميلاد، مما يوحي إن الاهتمام اتجه نحو مدينة جزمة التي اشتهرت عاصمة لإقليم فزان تقوم بدور الوسيط التجاري بين أفريقيا ودول المتوسط، كما إن بعض المصادر الإسلامية تفيد بأن زويلة مدينة صحراوية قديمة أزلية (مؤلف مجهول 1986م)، وقد أكدت الحفريات التي أجريت في المدينة عن قدمها، حيث أثبتت إن الجامع الأبيض قد بني في مكان قصر قديم أو كنيسة (هلوت تسجبرت 1972م)، وهو ما يدل على إنها عريقة في عمرائها، سابقة على وصول المسلمين إليها .

لكن ارتباط تاريخ زويلة وإلى حد كبير بتاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وخاصة فتح ليبيا، كان له أقوى الأثر على مجريات الأمور، حيث إنتقل مركز الحضارة إليها من مدينة جرمة لتستلم الريادة عاصمة للإقليم.

والجدير بالذكر إن عمرأ بن العاص عندما فتح برقة (22هـ) أرسل قائده عقبة بن نافع إلى زويلة، وكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب، يخبره بأنه « قد ولي عقبة بن نافع القهري المغرب فبلغ زويلة، وإن ما بين زويلة وبرقة، سلم كلهم حسن طاعتهم قد أدى مسلمهم الصدقة وأقر معاهدهم بالجزية(ابلاذري1987م) » .

وفي هذه الفترة المبكرة من تاريخ الفتح من سنة 22 هـ إلى سنة 47 للهجرة كان مقام الولاية ببرقة وزويلة (عريفة2010م) أي إن المدينة يمكن اعتبارها عاصمة لبلاد المغرب خلال هذه الفترة، حيث اتخذها عقبة قاعدة لفتوحاته في مناطق الصحراء الأخرى قبل التوغل في بلاد المغرب(طروم201م) ولم يفارقها إلا عند بناء مدينة القيروان سنة 50 هـ .

وبعد الفتح الإسلامي اكتسبت زويلة أهمية سياسية واقتصادية، وهي الأهمية ذاتها التي اكتسبتها المناطق الداخلية خاصة في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي عند قيام دويلات معارضة للخلافة العباسية في كل من القيروان وتاهرت وفاس ولكل منها نفوذها السياسي، وقد أثر هذا التغير في الخارطة السياسية على اقتصاد المنطقة وطرقها التجارية وأعطت للطرق الداخلية أهمية أكبر، حيث كانت زويلة مركز الدخول إلى بلاد السودان، وكان ميناء مدينة اجدايبا المنفذ البحري لتلك التجارة(موسى1983) ترد إليها المراكب بالمتاع والأمتعة، فضلاً عن مرور هذه التجارة عن طريق زويلة إلى مصر عبر الصحراء الليبية .

وبما إن تعد مدينة زويلة ملتقى لطرق القوافل القادمة من برقة وطرابلس والمتجهة نحو بلاد السودان نذكر منها طريقتين رئيسيين :

الأول: طريق طرابلس الكانم والبرنو عبر فزان، يبدأ هذا الطريق من مدينة طرابلس إلى مدينة جادو ماراً بالصحراء إلى موضع يسمى تبرى في الجبل تم تراغن إلى إن يصل إلى زويلة، ويقدر البكرى المسافة بين الأخيرة وطرابلس بخمسة عشر يوماً البكري(1992م) ويصل هذا الطريق بعد زويلة إلى واحة كوار ثم واحة بلما، ومنها تواصل القوافل رحلتها قاصدة بلاد كانم إما إن تتوقف عندها أو تستمر إلى إن تصل مدينة كوكا عاصمة برنو ومنها إلى ممالك الهوسا، وتقدر هذه الرحلة من طرابلس إلى الهاوسا بثلاثة أشهر، وهذا الطريق راسخا في القدم يعود تاريخه إلى أيام الجرمنتين والرومان .

والثاني: طريق برقة الكانم عبر زويلة، وتبدأ الطريق من مدينة المرج، ومنها إلى اجدابيا، وتتجه إلى مدينة أوجلة، ثم يصل هذا الطريق إلى زلة ثم إلى زويلة، وتسلك هذا الطريق قوافل الحج الموسمية القادمة من السودان الغربي والأوسط، مما أكسبه أهمية خاصة، فضلا عن إن القوافل التجارية كانت تنطلق من مدينة المرج بعد وصولها من البلاد المصرية، ويقدر البكري المسافة بين الإسكندرية وبرقة بإحدى وعشرين مرحلة (الإديسي1989م) .

هذه الطرق التي تلتقي عند زويلة لم يكن دورها مقتصرًا على الأعمال التجارية ونقل البضائع بين أهالي الساحل والصحراء بعد الفتح الإسلامي، وإنما أتاحت الفرصة للتواصل والحوار والتعارف، فمن خلالها إنتشر الإسلام واللغة العربية فيما وراء الصحراء، ومن أجل إن يتحقق هذا الهدف، نجد إن أول عمل قام به المسلمون في زويلة هو تأسيس الجامع الأبيض، الذي زاره الرحالة الألماني فريديرخ هورنمان، وزودنا عنه ببعض المعلومات فقال: « في وسطه قاعة واسعة معمدة بها أقواس عالية وعريضة ،بوراؤها دهليز واسع به بعض الغرف تشكل هي الأخرى جزءاً من المسجد» (هلوت تسيجرت1972) .

إن هذا النص الذي يصف الجامع بسعته وكثرت مرافقه يعطينا انطباعا على إن المدينة تطورت خلال العصر الوسيط، فالمساجد في المدن دائماً تكون اكبر من التي أنشئت في القرى، وإن الغرف التي يشير إليها النص هي في العادة كانت تنشأ ليتعلم فيها الصبية القرآن الكريم إلى جانب العلوم الأخرى، ونتأكد من التطور الذي شهدته المدينة من خلال روايات بعض الجغرافيين والرحالة، فهذا الشريف الإدريسي في النصف الأول من القرن السادس الهجري يقول: إنها مدينة صغيرة (الإديسي1989م) وبها أسواق، بينما نجد صاحب كتاب (الاستبصار في عجائب الأمصار) في أواخر القرن السادس الهجري حين يتحدث عن المدينة يذكر إنها مدينة كبيرة (مؤلف مجهول1986م) وهو ما يوحي بتطور المدينة، وقد أشاد بذلك الحميري (الحميري1975م) في منتصف القرن التاسع الهجري الذي أفادنا إنها مدينة عامرة.

ومن المنشآت العمرانية التي قامت في زويلة كدليل على تطورها ونشاطها الاقتصادي وتقديم الخدمات هو انتشار الحمامات والأسواق التي يقصدها التجار من كل حذب وصوب، فقد أشاد بذلك ياقوت الحموي عند حديثه عن المدينة بقوله: « وفيها جامع وحمام وأسواق تجتمع فيها الرفاق من كل جهة ومنها يفترق قاصدهم وتتشعب طرقهم» (الحموي1995)



واجهة الجامع الأبيض بزويلة

زويلة عاصمة بني خطاب

اقترن اسم مدينة زويلة في حضارتها ورقيا الثقافي، باسم بني خطاب خلال فترة حكمهم 306 هـ - 568 هـ حيث اشتهر اسمها بهم ((زويلة ابن الخطاب)) (الإدريسي 1989م) حيث استطاع أبناء هذه الأسرة إن يؤسسوا فيها دولة مستقلة وهي دولة بني خطاب الهوارية الأباضية . وقد اتسعت زويلة في عهدهم وازدهرت، حيث شهدت حركة نشطة في بناء المساجد والأضرحة الضخمة، فبخلاف المسجد الجامع في قلب المدينة، فقد بنيت حوله مساجد أخرى للعبادة و تعليم العلوم الدينية (طروم 2001م) والتطبيقية و غيرها.

كما وجدت آثار بنيان عظيم بالمدينة يتكون من أكثر من طابق ترجح بعض الدراسات والحفريات على إنه آثار قصر لوقوعه في وسط المدينة (طروم 2001م) .

ومن المعالم العمرانية التي بقيت في زويلة رغم عوادي الزمن، هي تلك الأضرحة التي أقيمت بالمدينة والتي مازالت ماثلة للعيان إلى اليوم شاهدة على المكانة التي كانت تتمتع بها زويلة في العصور الإسلامية، وهي تعرف بالأضرحة السبعة أو (الأضرحة الملكية) يقدر طولها بسبع أمتار، مكتوب على بعضها كتابات بالخط الكوفي على الجزء الأعلى من الحائط يصعب قراءتها لعدم وضوحها، والمتأمل في هذه الأضرحة، يلاحظ إن القباب التي تعلو الأضرحة شبيهة بالقباب الفاطمية مما يدل على تأثرها بالحضارة الفاطمية

مدينة زويلة في فضائي الساحل والصحراء خلال العصر الوسيط دراسة عن تطورها التاريخي وعلاقاتها بالمدن المجاورة

(عريضة 2010م). وهو ما يفند بعض الروايات التي ترجح إن تكون قبوراً للصحابه الذين استشهدوا أثناء الفتوحات؛ وما هي إلا مدافن ملوك أسرة بني خطاب، كما إن وجود هذه الأضرحة على بعد كيلو متر عن مركز المدينة من ناحية الشرق مما يدل على تطور المدينة في عهد هذه الأسرة و اتساع رقعتها الجغرافية .

ومما يدل على ازدهار زويلة الاقتصادي، إنه من بين المرافق التي وجدت بها، دار لسك العملة، فقد عثر على دينار من الذهب ضرب باسم الظاهر لعز الدين الله الفاطمي ابن الحاكم بأمر الله سنة 414 هـ .

وكان يحمل البيانات التالية :-

الطوق الخارجي :-

بسم الله ضرب هذا الدينار بزويلة سنة أربع عشر و أربعمئة .

الطرق الداخلي :-

عبد الله ووليه الحسن الإمام

المركز في سطرين

الظاهر لعز الدين الله أمير المؤمنين

ظهر الدينار :-

الطوق الخارجي :

محمد رسول الله أرسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

الطوق الداخلي :-

لا إله (إلا) الله وحده لا شريك له

المركز في سطرين :-

محمد رسول الله

على ولي الله (محمد 1965م)

ونظراً إلى وجود مصدر الذهب بالقرب من زويلة الذي اعتمدت عليه دار السكة في الصناعة، يمكننا القول: إن صناعة الحلي و الذهب كانت رائجة هي أيضاً بالمدينة وبخلاف الصناعات المعدنية، ازدهرت فيها الصناعات الجلدية، حيث بلغت شهرة الجلود

الزويلية الأفاق، فضلاً عن الصناعات التي تعتمد في المواد الخام على أشجار النخيل منها الغذائية كرب التمر والخل والمنزلية بداية بأسقف البيوت فالأسرة و السلال والأطباق. ومما يجدر إليه القول: إن الوظيفة الاقتصادية للمدينة كانت عاملاً مهماً في قيام إمارة بني خطاب و نحن نعلم إن اقتصاد المدينة يعد الدعامة الأساسية لأي نظام سياسي وقوة الدولة أو قوة النظام تكمن في القوة الاقتصادية الإنتاجية التي توفرها المدينة(قنوص1994م). كما أن علاقات المدينة بالمدن المجاورة مثل طرابلس شمالاً والإسكندرية شرقاً وتاهرت وورقلة وغدامس غرباً، وكانم برنو جنوباً، كانت روافد اقتصادية مكمله لأنشطة المدينة الاقتصادية والصناعية والتجارية ،سوف نشير إليه في الصفحات القادمة .



الأضرحة الملكية بزويلة



قباب أضرحة زويلة (الأضرحة الملكية)



دينار من الذهب ضرب للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله في دار ضرب السكة بزويلة

علاقة مدينة زويلة ببعض المدن المجاورة لها:

ركز المؤرخون في دراساتهم على المدن التي تتركز فيها السلطة المركزية التي كانت مقرأ للخلفاء والأمراء، فسجلوا كل ما سادها من تطور، ولم تتعرض للمدن الداخلية إلا في إشارات عابرة، على الرغم من بروز المدن الصحراوية شريكا في النشاط الاقتصادي الذي شهدته المنطقة، وارتبطت بعلاقات مميزة مع جاراتها، الصحراوية منها والساحلية. وإذا كانت مدينة زويلة من أهم المنافذ التاريخية إلى الصحراء، فهي محطة عبور منذ عهد الرومان، ومركزاً لتنظيم المعاملات التجارية بين الساحل وجنوب الصحراء كما أسلفنا، فإن نشوء علاقات بين المدينة والمدن المجاورة لها يعد أمراً حتمياً فرضته المصالح المشتركة بينها، وأكدته المصادر الإخبارية في ثناياها، فما طبيعة تلك العلاقات؟ وإلى أي حد ساهمت في تطور المدينة وازدهارها؟

إن ازدهار العلاقات الاقتصادية والثقافية التي شهدتها المنطقة بين الساحل والصحراء في أفريقيا، وبين مدينة زويلة والمدن المجاورة لها على وجه الخصوص، كان نتيجة لوقوعها في نقطة التقاء للطرق العابرة للصحراء، فقد أورد ياقوت الحموي إن المدينة «تجتمع فيها الرفاق من كل جهة ومنها يفترق قاصدهم، وتتشعب طرقهم» (الحموي 1995م) وهذا يكفي للتدليل على الدور الذي كانت تلعبه الحاضرة، وبما إن هذه المدينة كانت أقرب

البلاد إلى السودان وبالخصوص بلاد الكانم (مؤلف مجهول 1986م)، فقد تعاظمت مواردها من رسوم المرور المحصلة على القوافل التي تعبر إقليمها، حيث كانت محطة عبور لبضائع إفريقيا من العبيد والذهب وغيرها، وفي هذا السياق يذكر صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار إن إلى زويلة «يجلب الرقيق ومنها يخرج إلى بلاد افريقية وغيرها من البلاد» (مؤلف مجهول 1986م) وفي هذا الصدد يفيدنا كذلك اليعقوبي أن أهل زويلة ((يخرجون الرقيق السودان من المريين والزغاويين والمرويين وغيرهم من أجناس السودان لقربهم منهم...)) (اليعقوبي 1988م)، وفي السياق ذاته يخبرنا الأصطخري أن العبيد السود يجلبون من بلاد السودان إلى زويلة ومنها إلى مختلف الأمصار الإسلامية. (الأصطخري دت) تعد زويلة المدينة الأكثر ثراءً فضلاً عن تعاملها الكبير بتجارة الرقيق وكونها باب السودان، فهي تعد ملتقى الصحراء ومستودعاً للتجارة.

ارتبطت زويلة بعلاقات اقتصادية مع اجدابيا، وبما إن الأولى مركز الدخول إلى بلاد السودان، فإن الأخيرة كانت الميناء البحري لتلك التجارة (ابن حوقل دت)، وكانت زويلة في ذات الوقت تستفيد من الضرائب المفروضة على القوافل القادمة والمتجهة إلى بلاد السودان. أما علاقاتها مع مصر فقد كان الملح يستخرج من الواحات الداخلة، وينقل إلى برقة ومنها إلى بلاد السودان حيث يقايض بالذهب، ومن مدينة حلوان بمصر كان اليهود يأتون بالملح إلى زويلة (ثيري 2008م) وبلاد غانة، ويستبدل بالذهب والأحجار الكريمة، وذلك عن طريق الطريق الرئيسي الذي يربط برقة الكانم عن طريق زويلة، وربما إن جزءاً من الأحجار الكريمة، كان يأتي به تجار ورجلان في طريقهم إلى زويلة، حيث يذكر صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار «إن من ورجلان إلى غدامس 20 يوماً في صحراء قليلة الماء، وفي هذه الصحراء معدن حجارة تشبه العقيق، وربما كان في الحجر الواحد منها ألوانا من الحمرة والصفرة والبياض، وهذا الحجر أنفس شئ ببلاد السودان، غانا وغيرها» (مؤلف مجهول 1986م).

وكان الملح الطرابلسي المستخرج من رأس المخبز وجزء من ملح جربة والشاطئ التونسي القيروان يعبر عن طريق زويلة من غدامس أو غات (ثيري 2008م)، حيث إن الطريق الرئيسي طرابلس الكانم والبرنو هو الذي يربط طرابلس جادو إلى زويلة الذي ذكره البكري، وهو الطريق نفسه الذي كان يسلكه تجار المناطق الأباضية، حيث هناك طريق تاهرت ورقلة كان يصل إلى جبل نفوسة ماراً بالجريد، فضلاً عن طريق أخرى تربط زويلة مع بلاد افريقية عن طريق غدامس، وقد ذكر الأصطخري طريق القيروان زويلة (ثيري 2008م)، ويذكر جاك ثيري طريق كوار ورقلة، ومن المؤكد إن هذا الطريق يتجه شمالاً عبر زويلة

إلى جبل نفوسة حتى يصل المغرب الأوسط أو ورقلة تحديداً، حيث إن شب كوار الذي اشتهر بجودته كان يصدر إلى شرقاً إلى مصر وغرباً إلى ورقلة، وفي المقابل كان القمح يستورد من ورقلة إلى بلاد الزغاوة سكان بحر الغزال ووداي ودارفور، ويبدو إن تجارة العبور غالباً تتم عن طريق زويلة وكوار لأنها كانت أكثر أمناً، وكان لأهل زويلة أثرهم البالغ في استقطاب التجار إلى المدينة واختيارهم لها، فقد كانوا أهل دين وتواضع وعلى خلق، حتى إن بعض التجار آثر النزول في زويلة والعمل بها، وكذلك كانت سياسة حكامها فالناس على دين ملوكهم.

الخاتمة:

أحدث الإسلام تطوراً جديداً في مدينة زويلة في نواحي الحياة المختلفة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، حيث شكلت برقة وزويلة مقام الولاية منذ الفتح حتى ولاية عقبة بن نافع لأفريقية وبناء القبروان سنة 50هـ/670 ميلادي، فقد أثر الفتح الإسلامي في مجتمع زويلة وفي تغيير نسيجه الاجتماعي واعتناق أفراد الإسلام وقد انسحب هذا التأثير على الشعوب التي كانت تتوافد على المدينة للتجارة، وبداء هذا التأثير واضحاً في بلاد السودان من خلال الحركة التجارية المتواصلة بين الشمال والجنوب، وهو ما يؤكد على إن مسألة التغيير تنتج عن عدة عوامل كالغزو والتنقل للتجارة والهجرة .

إن ازدهار المدينة مدة طويلة خلال العصر الوسيط، خاصة الجانب الاقتصادي الذي يفسر لنا بدوره الجانب السياسي والثقافي، وهو وفرة المياه ونمو المحاصيل الزراعية بها، والعامل الأهم وقوعها في تقاطع بين طرق القوافل، كما إن وجودها في الداخل بعيداً عن الأخطار الخارجية، والعلاقة الجيدة مع الأقوام والممالك الصحراوية المجاورة التي أنهجها حكام بني خطاب .

وقد نالت المدينة من الأهمية ما جعل اسمها ينتشر في عدد من المدن الإسلامية، فقد بني المهدي عبيد الله مدينة سماها زويلة بجوار المهديّة، وعرف أحد أبواب مدينة المنصورية اسم باب زويلة (الحميري 1975م)، وفي القاهرة أطلق اسم زويلة على إحدى الحارات المجاورة لها .

وقد كانت العلاقات الثقافية والاجتماعية القوية تربط المدينة بالمدن المجاورة حتى إن اسمها كان يلقب به عدد من العلماء إضافة إلى لقبهم، منهم من جاء إلى المدينة وفضل الاستقرار بها، أو درس وأقام فيها فترة من الزمن ثم عاد إلى موطنه الأصلي، ومن أمثلة

ذلك أبو عبد الله محمد بن حسن الزويلي السرتي حيث ذكر العلامة الطاهر الزاوي إنه من سرت (الزاوي 2004م)، وإبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولاني الزويلي (عريفة 2010م) وهو أديب أندلسي ولد سنة 540 هجري وتوفي سنة 616 هجري في مراکش، وإسماعيل بن إبراهيم القيرواني الزويلي (القفطي 1955م) .

والى عهد قريب تتضح لنا أهمية العلاقات التي تربط زويلة والصحراء الليبية عموماً بمدن افريقية والمغرب، حيث نكتشف هذه الأهمية إبان الحقبة الاستعمارية، عندما حرصت فرنسا على أن يكون إقليم فزان برمته ضمن مناطق نفوذها، إضافة إلى تونس والجزائر .

المراجع

- ابن سعيد المغربي، 1970، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ص 127 .
- أبو اسحاق الأصبخري، د.ت، مسالك الممالك، دار صادر، بيروت، ص 40
- أبو القاسم ابن حوقل، د.ت، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 70 .
- أبو عبيد الله البكري، 1992، المسالك والممالك، حققه وقدم له وفهرسه أدريان فان ليوفن وإنديري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، ج 2 ص 655، 656، 660 .
- بشير طروم، 2001، مدينة زويلة منذ الفتح، العربي الإسلامي حتى سقوط دولة ين خطاب 22هـ / 568هـ / 642م - 1172م - دراسة في أحوالها السياسية الاقتصادية، الاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزاوية، ص 48، 72، 85 .
- البلاذري، 1987 فتوح البلدان، حققه وشرحه وعلق على حواشيه عبد الله أنيس الكباع وعمر أنيس الطباع، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، ص 315 .
- جاك ثيري، 2008، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ط 2، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، ط 2، ليبيا، اللجنة الشعبية للإعلام والثقافة، 2008م، ص 641، 643، 507 .
- جمال الدين، القفطي 1955، إنباء الرواة على إنباء النحاة، ج 1، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ص 192 .
- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، 1989، المجلد الثاني، عالم الكتب، بيروت، ص 313، 311/1، 13/1، 313/1
- صبحي محمد قنوص، 1994، دراسات حصرية - مدخل نظري، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 110 .
- الطاهر أحمد الزاوي، 2004، أعلام ليبيا، دار المدار الإسلامي، ط 1، ص 328 .
- الطاهر المهدي بن عريفة، 2010، تاريخ فزان الثقافي والاجتماعي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ص 127، 130، 127، 141 .
- عز الدين موسى، 1983، طريق عبر الصحراء الليبية من المغرب الأقصى إلى مصر في القرن السادس للهجرة، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، طرابلس، ص 108 .

- علي حامد لطيف، 2003، المراكز التجارية الليبية وعلاقاتها مع ممالك السودان الأوسط وآثارها على الحياة الاجتماعية خلال القرن 8/9هـ-14/15م، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ص70
- لمياء محمد شرف الدين، 2000، تجارة طرابلس مع بلاد ما وراء الصحراء في العصر الوسيط، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، طرابلس، ص15.
- محمد بن احمد بن حزم، 1985، الفصل في الملل والأهواء والنحل، در الجيل، بيروت، ج1، 203.
- محمد بن عبد المنعم الحميري، 1984، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، حققه إحسان عباس، بيروت، ص ص296، 295، 354.
- مصطفى محمد 1965،، تحف إسلامية، مجلة ليبيا القديمة، ع 2، ص 23، ب
- المقدسي، 1985، أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم، دار احياء التراث، بيروت، ص50
- مؤلف مجهول، 1986، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد المجيد، دار الشؤون الثقافية، العراق، ص ص 146، 224.
- هلوث تسيجرت وعلى عبد السلام، 1973، 1972، الجامع الأبيض في زويلة، ليبيا القديمة، مجلد العديدين التاسع والعاشر، ص 34.
- ياقوت الحموي، 1995، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، ج3، ص ص 160، 296.
- اليعقوبي، 1988، البلدان، دار إحياء علوم التراث العربي، بيروت، ص98.